

تحقيق

يجمع المهرجان الدولي للبدو الرحل في محاميد الغزلان جمهورا تتجاوز فيه كل اللغات والجغرافيات والأعمار والأذواق ومن مختلف الجنسيات في تجانس إنساني وثقافي مميز.

تضم أوركسترا «النور والأمل» 43 امرأة مصرية كفيفة تتراوح أعمارهن بين 15 و45 سنة، يجتمعن مرتين أو ثلاثا أسبوعيا لتعلم عزف مقطوعات موسيقية مكتوبة بطريقة برايل.



البدو الرحل يجتمعون في محاميد الغزلان لسرد تجارب حياتهم بالموسيقى

● محاميد الغزلان تحتفي بالمهرجان الدولي للرحل ● بولندا تكتشف عادات وتقاليد البدو في المغرب

بينها منطقتي "محاميد البالي" و"محاميد الجديد".

ويرجع أصل تسمية المنطقة بمحاميد الغزلان إلى اسم أكبر دوار في المنطقة الذي بدوره استمد هذه التسمية حسب بعض الروايات من كون مجموعة من الغزلان كانت تشرب من وادي درعة وتحديدا في منطقة المحاميد. وتعتبر المنطقة حلقة وصل بين سكان أفريقيا الغربية، حيث كانت أهم ممر للقوافل التجارية التي كانت تحمل الذهب في اتجاه شمال أفريقيا من الجنوب، كما أنها منطقة استراتيجية لقبائل الرحل، وشكلت مجالا للاستقرار البشري منذ عهود قديمة.



تشكيليا لفنانين استوحوا أعمالهم من عمق الخصوصية المغربية والصحراء من منظور إنساني. وتميزت دورة مهرجان الرحل هذه السنة بتنظيم ندوات تباحث خلالها خبراء مغاربة وأجانب سبل حماية نمط عيش الرحل بمحاميد الغزلان التي تعاني من تراجع في نسبة الرحل بـ70 في المئة في السنوات العشر الأخيرة.

وفي الطريق إلى محاميد الغزلان تصادف الزائرين كل تضاريس المغرب تقريبا، سهول وجبال وكثبان رملية. وعلى مشارف البلدة تستقبل أشجار النخيل من الجانبين كل من يصل إليها ليكتشف طبيعة المنطقة الساحرة، قبل أن ينفرج مجال الرؤية عن صحراء تتوسطها أبنية مترامية هنا وهناك على ضفتي وادي درعة، لتشكل في ما

المهرجان الدولي للرحل "هذه السنة أقمنا نفس الطقوس، نفس العادات، نفس التقاليد، في نفس الطبيعة، لكن بالوان مختلفة وبلغات مختلفة. جعلنا من محاميد الغزلان قنطرة تواصل بين شمال أفريقيا والساحل غرب الصحراء".

وأوضح أن المهرجان "بالإضافة إلى طابعه الثقافي الروحي المتميز هو مناسبة أيضا للتعريف بالمنتوج السياحي المغربي من خلال استقطاب المهرجان لآلاف السياح من هواة الموسيقى العالمية والساعين لاكتشاف الثقافة المغربية، خصوصا ثقافة الصحراء".

وعندما يهدأ صوت الموسيقى يندمج المشاركون في المهرجان وزواره في أنشطة رياضية تقليدية لا سيما لعبة تشبيه الهوكي تسمى هوكي الرمال أو "المكاشش" محليا وهي لعبة يمارسها فريقان بكرة مصنوعة من وبر الإبل ويديرها حكم يطلق عليه "الشيخ". كما استمتع زوار المهرجان بمشاهدة سباق الجمال الذي يسمى "الزلز" وأيضا مسابقة في تحضير الخبز في الرمل "الملا"، وكيفية تركيب الخيمة الصحراوية الخاصة بالرحل.

ويقول منظمو المهرجان إنه على الرغم من تركيزه على التقاليد البدوية فإن اللمسة العصرية في الأداء تعني أن الاحتفالات تسعى لجذب زوار من أنحاء العالم.

وأشارت جمعية رحل العالم إلى أنه "في الوقت الذي تهتم المملكة المغربية أكثر فاكثر بعمجها الأفريقي، المهرجان الدولي للبدو الرحل يساهم بقوة في إعادة إحياء هذه الأواصر عبر الثقافة المشتركة، إذ حرصنا هذه السنة على جلب فرق وفنانين أفارقة من مختلف أنحاء القارة، إيماننا بأن تنمية القارة تأتي أولا عبر تعزيز الجهود المشتركة على كافة الأصعدة، وفي مقدمتها العبدان الفني والثقافي اللذان لهما بالضرورة انعكاسات اقتصادية مباشرة وغير مباشرة على المنطقة".

وشهدت فعاليات المهرجان أيضا تنظيم ورشات لتعليم الخط العربي ومعرضا

على إيقاع آلات موسيقية شعبية خاصة بالبدو الرحل تسامر فنانون محليون وعالميون في منطقة محاميد الغزلان الواقعة في إقليم زاكورة بالمغرب، تحت خيام تقليدية لتبادل تجاربهم في العيش وسط الصحراء بلغة واحدة هي الموسيقى التي تجمعهم رغم اختلاف جنسياتهم ولغاتهم.

هناك أناس لا يفهمون كلماتنا لكنهم يفهمون موسيقانا.. الرنات الموسيقية تفهم من قبل الكل ولا تحتاج إلى لغة بعينها. الموسيقى لغة عالية يفهمها الجميع".

وضيفة شرف هذه الدورة من المهرجان هي بولندا، وبفضل جهود الجمعية المغربية- البولندية للثقافة نظمت في محاميد الغزلان أنشطة ثقافية عديدة في السنوات القليلة الماضية.

وشاركت في هذه الدورة من المهرجان الدولي للرحل ثلاث فرق موسيقية بولندية تحت رعاية سفارة بولندا في الرباط.

وقالت أنيتا أوكويوسكا بونس المسؤولة في الجمعية المغربية- البولندية للثقافة إن هذا المهرجان منصة عظيمة لتبادل الأفكار في الثقافة والموسيقى.

وأضافت "لدينا أصدقاء في محاميد الغزلان. إنهم موسيقيون من فريق شكাকা. هذا الفريق زار بولندا خلال السنوات الخمس الأخيرة ليقترب بولندا من الثقافة المغربية، واعتقدنا أنه ربما حان الوقت لنعرف بثقافتنا في المغرب".

ويعتبر المهرجان منسقا للحركة الثقافية بالجنوب الشرقي للمملكة، إذ يجمع جمهورا تتجاوز فيه كل اللغات والجغرافيات والأعمار والأنواع ومن مختلف الجنسيات، مغاربة وأجانب، أغنياء وفقراء، في تجانس إنساني وثقافي مميز.

ويهدف المهرجان، الذي احتفل هذا العام بدورته الرابعة عشرة والتي استمرت ثلاثة أيام، إلى المحافظة على الموسيقى والعادات والتقاليد الخاصة بالمناطق التي تقطنها قبائل البدو الرحل العديدة والمتناثرة في الصحاري الشاسعة. وقال نور الدين بوكراب مدير

زاكورة (المغرب) - شهدت منطقة محاميد الغزلان في إقليم زاكورة بالمغرب، والتي تتمتع في العادة بحالة سكون تغطي على شوارعها المترية، نهاية الأسبوع الماضي إقبالا كبيرا من عشاق الموسيقى الشعبية من أنحاء العالم الذين توافدوا عليها لحضور المهرجان الدولي للرحل.

وقدمت في هذا المهرجان الذي حمل شعار "الثقافة أساس التنمية" عروض للموسيقى التقليدية والعباب وفنون تراثية مثل بناء الخيام التقليدية الخاصة بالبدو الرحل.

وقدم فنانون محليون وإقليميون وعالميون ولمدة ثلاثة أيام متتالية عروضاً موسيقية راقصة في الهواء الطلق.

ومن بين مقدمي العروض الموسيقية الذين جذبوا أكبر عدد من الجمهور كان عازف القيثارة جومور المختار المعروف بلقب "بامبينو"، وهو من النيجر، والذي أبهر الجمهور بأدائه الرائع يوم السبت. وذاع صيت الفنان، الذي ينتمي إلى طوارق النيجر ويفتخر بأنه يمثل صوت قبيلته، قبل ما يزيد على عشر سنوات.

وقال بامبينو "يمكن أن نعبر بالقيثارة عن العلاقات البشرية. إنه شيء عشته وكبرت معه وأحب أن أقول الحقيقة. الإنسان يخاف من الحقيقة لأن الحقيقة تؤلم جدا. لكن بالنسبة إلي على الإنسان أن يقول الحقيقة دائما".

وأضاف فنانون آخرون شاركوا في المهرجان المزيج الموسيقي الانتقائي فيه. ورفه أعضاء فريق تاراكنت الموسيقي من مالي، عن الجمهور بأغنيات تعبر عن تجربة الإحساس بالعزلة في الصحراء.

وقال سنو أغ أحمد قائد الفريق "نحن نعزف موسيقى عصرية لكن بقواعد تقليدية.

عازفات «النور والأمل» يأملن في سماع موسيقاهن في الإذاعة المصرية

دراستها بالمعهد مع دراستها بالمدرسة، ومن لا تجتازة تستمر في الدراسة بالمدرسة فقط. وتقول شيماء يحيى (33 عاما) الحاصلة على بكالوريوس السنن (كلية لدراسة اللغات) من جامعة عين شمس، إنها تعمل مدرسة لغة إنكليزية للمرحلة الإعدادية بمدرسة "النور والأمل"، بالإضافة إلى أنها عازفة في الأوركسترا بعد الظهر.

وتروي شيماء قصتها مع العزف قائلة "ذات يوم سمعت صوتا موسيقيا بالمعهد جذبني لمحاولة الالتحاق به ونجحت في اختبار دراسة الموسيقى. كانت أمنيته أن أعزف على الكمان، ونجحت في ذلك".

وسافرت شيماء مع الأوركسترا لأول مرة إلى كندا وكانت أصغر عازفة بينهم، حيث كانت طالبة في الصف الثاني الإعدادي.

وبفخر تقول شيماء إن الأوركسترا قدمت حفلات كثيرة على أكبر المسارح في العالم، منها في كندا وفرنسا وألمانيا وسلوفينيا وسلوفاكيا والمجر والنمسا والهند وأستراليا، مؤكدة أن العازفات المصريات الكفيفات حظين بحفاوة كبيرة، وتلقين إعجابا جارفا في الدول الأجنبية التي سافرن إليها جميعها.

وتطالب شيماء نقابة الموسيقيين بمصر بالسماح بانضمام أعضاء الفرقة إليها، فكما توضح "فريق الأوركسترا هذا رفع اسم مصر في أكثر من دولة عربية وأجنبية وأعضاؤه أولى بالرعاية". كما تدعو الإذاعة المصرية الحكومية إلى بث مقطوعات من عزف فريق "النور والأمل"، قائلة "أحلم بأن أسمع يوما الإذاعة تقول والآن سنستمع لمقطوعة من عزف أوركسترا النور والأمل".

لكل منهن، فصاحبة الأصابع الطويلة مثلا تعزف بمهارة على آلة الكمان، أما صاحبة البنية الضعيفة فتكون آلة الفلوت مناسبة لها، وأخيرا صاحبة البنية الجسمانية القوية يوكل إليها العزف على الكونتراباص الضخمة".

ومن أشهر العروض التي قدمتها الفرقة حفل في 21 يونيو عام 2009، وهو اليوم العالمي للموسيقى، في مدينة كوفريه بفرنسا، بالإضافة إلى تقديمهن عرضا أوبراليا بعنوان "أيام وليالي شجرة القلب" الذي ألفه الفرنسي الجزائري طارق بن ورقة في نوفمبر عام 2015 في قاعة "غافو" الشهيرة في باريس بحضور وزيرين فرنسيين وسفير مصر في باريس.

وينوه باشا بان أعضاء الفرقة بعضهن طالبات بالجامعة، ومنهن من تعمل بالمؤسسة التي تحرص على توفير فرص عمل لهن فور تخرجهن، لافتا إلى أن الفرقة الحالية هي الجيل الرابع بالأوركسترا. ويدافع عن المشروع الموسيقي للمكفوفات قائلا "هذا مشروع فريد من نوعه، لم يحدث في العالم أن يكون هناك فريق محترف كله كفيفات".

وبمشاعر دافقة توجه الدعوة إلى الاهتمام الإعلامي والحكومي بالفرقة، وإنجازاتها المنيرة المبعدة عن دائرة الضوء.

وتقول نجاة رضوان، مديرة معهد الموسيقى بجمعية "النور والأمل"، أنه بعد انتهاء الصف الأول تكون الفتاة قادرة على القراءة بطريقة "برايل" ومن ثمة يقوم المعهد بأخذ الفتيات ليتلقن به ويتم تدريبهن وتأهيلهن لفترة معينة، ثم يتم تشكيل لجنة تختبر الفتيات وتحدد من منهن يمكنها الاستمرار في الدراسة في معهد الموسيقى، ومن تجتاز الاختبار تتابع

بطريقة برايل أولا ثم تحفظها كل عازفة بشكل منفرد".

وأضاف "بعدها يتم جمع كل العازفات اللاتي يعزفن على آلات موسيقية متشابهة، ويتم تدريبهن بشكل جماعي، وأخيرا تجتمع أعضاء الفرقة كلها بمختلف الآتين الموسيقية لإجراء البروفات التي تظل مستمرة حتى تتقن كل منهن عزفها. وتستخدم الفرقة الورقيات والآلات النفخ الخشبي والنحاسي والإيقاع".

وأوضح المايسترو أن "تحديد الآلة المناسبة لكل فتاة يتم حسب البنية الجسمانية



عزف «النور والأمل» يبحث عن مستمع

لا تقرأ أعضاء أوركسترا جمعية "النور والأمل" المقطوعات الموسيقية بعيونهن، أو يتابعن عصا المايسترو وهي تتمايل بالتعليقات، بل يقودهن الإحساس وأنامل مبصرة تداعب آلات موسيقية صماء لينطلق منها بوضوح بالنور والحياة.

القانون خلود البطاينة وعازف الأورغ إسماعيل قدر في الأردن، وسليم كركوكلي في العراق وغيرهم.

وعن كيفية تدريب الكفيفات قال محمد سعد ان "تدريبهن يختلف تماما عن المبصرين، لأنه لا بد أن تكتب المقطوعة أو المدونة الموسيقية

القاهرة - تجتمع نساء مصريات مكفوفات مرتين أو ثلاثا أسبوعيا بقيادة المايسترو محمد سعد باشا لصقل مهارتهن في عزف المقطوعات المكتوبة نوتتها الموسيقية بطريقة برايل.

وينتمي هؤلاء العازفات وعددهن 43 إلى أوركسترا جمعية خيرية خاصة تعرف باسم "النور والأمل"، وتتراوح أعمارهن بين 15 و45 سنة.

وانطلق حلم عازفات "النور والأمل" من مقر الجمعية الرئيسي شرقي العاصمة المصرية القاهرة، التي تأسست عام 1954 وبدأن في تنظيم حفلاتهن في عام 1972.

وطريقة "برايل" هي نظام كتابة أجنبية ابتكره الفرنسي لويس برايل، ليستطيع المكفوفون القراءة كل حسب لغته، حيث يجعل الحروف رموزا بارزة على الورق؛ مما يسمح بالقراءة عن طريق حاسة اللمس، وقد صدر أول منشور بهذه الطريقة عام 1837.

ويرى محمد سعد باشا قائد أوركسترا "النور والأمل" أن "الموسيقى هي الهوية المفضلة للمكفوفين التي يستعوضون بها عن البصر، ويهتمون بتنميتها لتضيئ البصيرة والروح لديهم".

ويشير إلى أنه ظهر عازفون مكفوفون شغلوا الدنيا بمعزوفاتهم وأحانهم، مثل الشيخ إمام وسيد مكاوي في مصر، وعازفة